مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الثاني

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين و محمد الأكلع
الجزء الثاني
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 2

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الثاني

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق: محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشـــــورات: مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطبـعـة الأولى: 2024

الطباعة والإخراج الفني: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي: حاجي خليفة (1609-1657هـ/1017-1067م) نموذجا

عبد الحي الخيلي(*)

تقديم

يعتبر مصطفى بن عبد الله من كبار علماء الدولة العثمانية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد، عرف بين معاصريه من العلماء الأتراك بـ: «كاتب جلبي،» وعند العرب والأوروبيين بـ: «حاجي خليفة،»(1) وبهذا اللّقب بلغت شهرته الآفاق بالموازاة مع انتشار كتابه: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،(2) الذي ذاع صيته في العالمين الإسلامي والغربي على حد سواء.

لقيت سيرة هذا العالم الجليل ومصنفاته المتنوعة اهتماما كبيرا من لدن الدارسين الأتراك والأجانب،(3) بينما لم ينل ما يستحق من الاهتمام من قبل الباحثين العرب، لذلك فمن

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.

(1) حول ترجمة كاتب جلبي ينظر: شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج. 5 (استانبول: مطبعة مهران، 1306-1316هـ)، 3806-3807؛ محمد شرف الدين يالتقيا، **كشف الظنون عن أسامي الأدب والفنون**، ج. 1 (استانبول: مطبتة المعارف، 1941)، تصدير الكتاب، 1-11. ويذكر سامي أن رسم الاسم من قبل الأوروبيين هو كما يلي: (حاجي قالفه، Haji Khalfa).

(2) لأهمية الكتاب لقي اهتماما كبيرا من قبل الأتراك والأجانب، فكان أول من ذيّل عليه من الأتراك محمد عزت أفندي (ت 1681م)، ثم ذيّل عليه ونقّحه إبراهيم أفندي عربه جي (ت 1776م)، ثم أحمد طاهر أفندي (ت 1802م)، ثم من بعده شيخ الإسلام عارف حكمت (ت 1858م)، ثم إسماعيل باشا البغدادي (ت 1920م). وطبع الكتاب في مجلدين باستانبول بين 1945 و1947م، كما تولى الناشر الأستاذ محمد شرف الدين يلتقايا تحقيق الكتاب ونشره سنة 1941م، وظهرت طبعة من تقديم السيد شهاب الدين المرعشي ضمن منشورات مكتبة المتنى ببغداد وغيرها. كما نال هذا الكتاب اهتمام المستشرقين الأوروبيين، حيث اعتمد عليه الفرنسي دربلو (d'Herbelot) (1625-1695) في مؤلفه المكتبة الشرقية، وغالان (Antoine Galland) (1646-1715)، وترجمه دولاكروا في ثلاثة أجزاء بين سنتي 1698 و1705م، أما المتن العربي فقد نشره الألماني غوستاف فلوغل مع ترجمته في الفترة الممتدة من سنة 1835 إلى سنة 1858م في سبعة أجزاء تحت عنوان (Lexicon Bibliographicum)، وبعدها ظهرت طبعات للكتاب في بولاق عام 1274هـ وباستانبول سنة 1311هـ.

(3) من أبرزهم الباحث التركي أورخان شايك كوكياي، والمستشرق الألماني فلوغل وفستنفلد وموريتمان وبابنجر وتيشنر وغيرهم، ومن العرب كتب عنه جرجي زيدان في مؤلفه «تاريخ آداب اللغة العربية.»

باب الإنصاف أن نخصص هذه المساهمة العلمية لكشف النقاب عن سيرته باعتباره عالما ومفكرا ومؤرخا وخبيرا بالإدارة والمالية، وأحد أقطاب الفكر والثقافة، إذ شكل بدون منازع حالة فريدة في تاريخ الدولة العثمانية وأسهم في إغناء الخزانة الإسلامية بمؤلفاته التي فاقت العشرين كتابا، همّت مختلف صنوف العلم والمعرفة من علوم شرعية وأدب وتراجم وتاريخ وجغرافيا وفلك وترجمة وغيرها. فما هي أهم المحطات في سيرة هذا العلم، وما أهم الوظائف التي شغلها؟ ثم ما هي أبرز مصنفاته العلمية، وكيف كانت تصوراته لإصلاح الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر للميلاد؟

• حاجي خليفة: السيرة العلمية والمهام الوظيفية

ولد حاجي خليفة في مدينة استانبول سنة (1017هـ/1609م) في أسرة صغيرة، نشأ في كنف والده الذي كان يشغل وظيفة عسكرية بالقصر السلطاني، حيث حرص على تعليمه القرآن وعلم التجويد على يد بعض العلماء منهم عيسى خليفة القريمي ومسيح باشا والمولى زكرياء علي إبراهيم أفندي، كما حصّل علوم اللغة على يد المعلم إلياس خوجة، وتعلم الخط من الخطاط ببوكري أحمد جلبي.[1]

وبعد بلوغه أربع عشرة سنة ألحقه والده بشعبة قلم محاسبة الأناضول، حيث درس قواعد الحساب والأرقام، وخطوط السياقة -هي أرقام وخطوط تهم أقلام المالية في الإدارة العثمانية-، وقد مكّنه هذا التكوين من الظفر بوظيفة محاسب خاص في جيش الأناضول، ليصبح مرافقا للجيوش العثمانية في حملاتها العسكرية، حيث شارك في حصار بغداد سنة 1626م، وحصار أرضروم سنة 1627-1628م، ثم في الحملات على همدان وبغداد سنة 1629م، ثم في الحملة التي قادها السلطان مراد الرابع (1623-1640م) على إيران سنة 1635م.[2]

وعلى الرغم من الوظيفة الإدارية التي شغلها حاجي خليفة داخل الجيش فقد ظل شغوفا بالعلم، حيث حرص على استكمال تكوينه العلمي وقراءة ما وصله من مصنفات في مختلف العلوم من شتى أقطار العالم الإسلامي، كما كتب ودوّن كل ما عاينه أثناء الحملات العسكرية التي شارك فيها. حيث كانت تلك الحملات بمثابة رحلات استكشافية تعرف من خلالها على أهم الحواضر والقلاع والحصون، وسجل معلومات جغرافية دقيقة في مؤلفاته، ومنها **جهانما** و**فذلكه**. كما مكّنته الحملة على جزيرة كريت سنة 1645م من الاهتمام برسم

(1) Orhan şaik Gökyay, «Kâtib Çelebi» in i*slâm Ansiklopedisi,* Cild 25 (Ankara: TDV Yayınları, 2002): 36-40.

(2) عبد الرحيم بنحادة، «لمحة عن الإستوغرافية العثمانية،» ضمن: **دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001)، 569.

الخرائط وتدقيق علوم الجغرافية البحرية والفلك.[1] في حين كانت رؤيته المباشرة للمعارك العسكرية والحروب وراء تشخصيه الدقيق لوضعية الجيش العثماني وتعرفه على مكمن الخلل في المؤسسة العسكرية وتقديمه بعض الحلول لإصلاحها.

وكانت مشاركته في تلك الحملات أيضا فرصة للقاء كبار العلماء والأخذ عنهم ومناقشتهم في بعض القضايا العلمية الدقيقة، ومنهم علماء حلب وديار بكر والموصل وغيرها. كما استغل فرصة توقف الجيش العثماني في حلب سنة 1635م لأداء فريضة الحج.

وكلّما قفل حاجي خليفة راجعا من حملاته العسكرية إلى العاصمة استانبول إلاّ وكان يسارع إلى مجالس كبار العلماء، فقد حضر دروس الشيخ محمد بن مصطفى أفندي الباليكسري المعروف بقاضي زاده، وقرأ عليه تفسير البيضاوي وكتب الحديث، والدرر لملا خسرو في الفقه، والطريقة المحمدية لمحمد البركوي. وأخذ على يد العلامة الشيخ مصطفى الأعرج القاضي المتوفى سنة 1064هـ/1654م الفقه والفلسفة والكلام والميزان، كما تلقى عليه شرح مختصر المنتهى للقاضي عضد الدين في الأصول، وعروض الأندلسي والتوضيح في الأصول وشرح الطوالع وشرح هداية الحكمة وآداب البحث وشرح الفناري على الأثرية وشرح التهذيب وشرح الشمسية وغير ذلك.[2] ومن أبرز مشايخه في المعقول والمنقول عبد الله الكردي (ت 1064هـ/1654م) المدرّس بآية صوفيا، وفي اللّغة والبيان محمد الألباني (ت 1054هـ/1644م)، وفي المنطق والحديث ولي الدين المنتشاوي (ت1065هـ/1655م).[3]

في سنة 1045هـ/1635م قرّر حاجي خليفة ترك الوظيفة والتفرغ للعلم والتحصيل، واعتبر ذلك «رجوعا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.»[4] حيث قضى عشرة أعوام في دراسة علوم التفسير والحديث والمنطق والفلسفة واللّغة، ثم بعد ذلك درس الرياضيات والفلك والجغرافية والطب. ثم عكف على التأليف والكتابة مستفيدا في ذلك من مقامه السابق في حلب، حيث طالع وسجّل أسماء الكتب والتراجم والعلوم التي وقف عليها في مكتبات المدينة، وأخرى جمعها من خزائن استانبول، وكذا من خزانته الغنية المشتملة على نفائس الكتب التي اقتناها بمال ورثه من بعض أقاربه.

---

(1) Gökyay, «Kâtib,»37-38.

(2) صلاح الدين عثمان هاشم، «كاتب جلبي بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة حياته وأثاره العلمية،» ضمن **العلاقات العربية التركية: أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية الليبية**، ج. 1 (طرابلس: منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1986)، 249.

(3) المرجع نفسه، 250.

(4) Gökyay, «Kâtib,»37.

عاد حاجي خليفة سنة 1058هـ/1648م للعمل في الإدارة العثمانية كخليفة ثان لرئيس أحد أقسام محاسبة الأناضول، وخلالها أسندت إليه المشاركة في لجنة عهد إليها السلطان العثماني محمد الرابع بدراسة سبل تحسين ميزانية الدولة، وظل بالرغم من ذلك وفيّا لمهنة التدريس التي مارسها إلى أن توفي في مسقط رأسه سنة 1067هـ/1657م وهو لم يتجاوز الخمسين سنة.[1]

• أهم مؤلفات حاجي خليفة

ألّف حاجي خليفة في مختلف صنوف العلم والمعرفة، إذ تمكّن بفضل ثقافته الموسوعية من تحرير ما ينيف عن واحد وعشرين كتابا باللّغتين العربية والعثمانية في فترة لم تتجاوز الخمسة عشر عاما، وقد انتهى من تدوين أول مصنف له **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** سنة 1641م، أما مؤلفه الأخير **ميزان الحق في اختيار الأحق** فقد فرغ من كتابته قبل بضعة أشهر من وفاته وذلك عام 1657م.

تنوعت مؤلفات كاتب جلبي بين كتب العلوم الشرعية من تفسير وفقه، وكتب التراجم والبيبليوغرافيا والأدب، ثم التاريخ والجغرافيا والفلك ورسائل الإصلاح السياسي والقانون وغيرها. وقد ترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللّغات الأوروبية، كما أن بعضها لا يزال مخطوطا في خزانات تركيا وأوروبا، وبعضها الآخر في عداد المفقود. ومن أهم مصنفاته:

o كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[2]:

يعد هذا الكتاب أهم ما ألّفه كاتب جلبي باللّغة العربية، وهو مصنف بيبلوغرافي كبير، تم الاعتراف به كأكبر موسوعة دوّنت في أسامي الكتب والمصنفات الإسلامية باللّغات الثلاث العربية والتركية والفارسية، وقد استغرق في جمع مادته العلمية أكثر من عشرين سنة، وعرّف فيه بما يقارب ثمانية عشر ألف عنونا من كتب التراث، وترجم فيه لما يزيد عن عشرة آلاف مؤلف وشارح، وذكر فيه نحو ثلاثمائة علم.

---

(1) ينظر مقدمة:
- Katip çelebi, *Mizanu'L-hakk Fi Ihtiyari'L-ahakk, Hazirlayan Orhan Saik Gokyab*, (Istanbul: Milli Egitim Basimevi, 1972).

(2) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الأدب والفنون**، ج 3 (بغداد: منشورات مكتبة المثنى، 1941)، 1002-1143.

- **سلّم الوصول إلى طبقات الفحول[1]:**

وهو كتاب في تراجم العلماء والأعيان وأنسابهم، ألفه سنة 1643م، وصنّفه وفق الترتيب الأبجدي، حيث خصص القسم الأول منه للتعريف بكبار العلماء، ورجال الدول في تاريخ الإسلام، وركز في القسم الثاني على الأنساب والكنى والألقاب، وكذا على أهم الفرق والمذاهب المختلفة.

- **جامع المتون من جل الفنون:**

ألفه حاجي خليفة سنة 1644م وجمع فيه ما يقرب من الثلاثين متنا اختارهم بعناية، تهم مواضيع علمية متنوعة بهدف تسهيل استفادة الطلاب من العلوم والمعارف، ويرجّح بعض الدارسين الأتراك أن هذا الكتاب عرف أيضا بـ «**رسالة أبحاث**»[2] وقد أضاف إليه المؤلف «مقدمة من علم التفسير في إتمام الدراية،» و«تعليم المعلم،» و«بداية الهداية في التذكير،» و«مقامات الحريري في الأدب،» و«جهينة الأخبار في التاريخ.». ثم وسمّاه «**مختصر جامع المتون.**»

- **تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والآثار:**

تضمن هذا المؤلف الذي يشبه الموسوعة معلومات تتعلق بالأدب والفلسفة وتدبير الحكم، واحتوى على أعمال ومؤلفات باللّغة العربية والفارسية والتركية، كما انفرد بذكر معلومات فريدة عن الحيوانات والطيور والأعشاب والنباتات، بل حمل بين دفتيه قصائد وأمثال وحكم ونكث ولطائف وقصصا ممتعة.

- **حسن الهداية:**

كتبه سنة 1647م لأحد الطلاب يشرح فيه الرسالة المحمدية، وركز فيه على قضية الجبر والمقابلة.

- **شرح تفسير البيضاوي:**

كتبه سنة 1642م، لكنه مفقود.

- **رجم الرجيم بالسين والجيم:**

جمع فيه فتاوي فقهية غريبة، وذلك بين سنتي 1654 و1655م.

---

(1) حقق هذا الكتاب ونشر مؤخرا من قبل مؤسسة إرسيكا: حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ترجمة محمد الأرناؤوط، تقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، مراجعة صالح سعداوي صالح (إستانبول: إرسيكا، 2010).
(2) Gökyay, «Kâtib,»40.

- **الإلهام المقدس من فيض الأقدس:**

هي رسالة علمية بحث فيها عن إجابات لقضايا متعلقة بعلم الفلك كان قد طرحها على بعض الفقهاء ولم يجد لها جوابا، حيث بيّن فيها مسألة استدارة الأرض ومدّ الليل والنهار، ونقطة شروق الشمس وغروبها، ثم تحديد اتجاه القبلة وأوقات الصلاة والصيام حسب اختلاف الأماكن.

- **درر منتثرة في غرر منتشرة:**

اعتمد فيه على ما كتبه الإمام الغزالي وكبار علماء الإسلام، وبسط فيه فوائد مختلفة تهم أدب العقل، واليقين وشروط صحة الملك، وعلم الكلام، وإنكار الكرامات، ومسألة النية واستقبال الكعبة وغيرها.

- **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار[1]:**

ألفه سنة 1641م، وهو تاريخ عام يقع في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، بحث فيه تعريف علم التاريخ وفوائده، وسار على نهج بعض المؤرخين من أمثال مصطفى الجنابي ومصطفى عالي وحسين هزرافن، وقد بدأه بالتأريخ للأنبياء ثم لصدر الإسلام إلى غاية عام 1639م.

- **تقويم التواريخ[2]:**

تميز هذا الكتاب بالتأريخ للبشرية منذ ظهور الخليقة ونزول آدم إلى الأرض، واستعرض فيه المؤلف تاريخ مختلف الأمم والحضارات السابقة من فرس وروم وهنود ومغول وغيرهم، ثم توقف مع تاريخ صدر الإسلام إلى غاية الدولة العثمانية سنة 1648م، لكن المهم فيه هو تدقيقه في تواريخ الدول من حيث النشأة والانقراض، وتقديمه إحصاءات رقمية دقيقة عن عدد الملوك وأعمارهم وسنوات حكمهم، ثم تاريخ بداية الدول ونهاياتها، وهذا ما لم يسبقه له أحد من المؤرخين الأتراك. ولأهمية هذا الكتاب، تمت ترجمته لعدة لغات أجنبية،[3] وطبع خلال القرن الثامن عشر للميلاد ضمن مطبعة إبراهيم متفرقة.

---

(1) توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في خزانة بايزيد باستانبول تحت رقم: 10318.

(2) اطلعنا على نسخة مخطوطة من الكتاب بخط المؤلف في خزانة السليمانية باستانبول وهي مسجلة تحت رقم: 2399.

(3) ترجم كتاب **تقويم التواريخ** إلى اللّغة الإيطالية من لدن رينالدو قارلي وطبع في البندقية سنة 1697م، وقال المؤرخ الألماني هامر بشأنه: «إنه لو لم يكن هذا الكتاب لظل عدد كبير من أحداث تاريخ الدولة العثمانية مجهولا.»

- **فذلكة[1]:**

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على ما عاينه أثناء الحملات العسكرية على شرق الأناضول، وأرّخ فيه لأهم الأحداث والوقائع التي عرفتها الدولة العثمانية من عام 1000هـ/1592م إلى 1065هـ/1655م، وهو ما جعله مصدرا موثوقا يعتمده كبار المؤرخين العثمانيين أمثال مصطفى نعيمة.

- **تاريخ فرنجي[2]:**

هذا الكتاب ترجمة لحوليات يوهان كاريون التي نشرت بباريس سنة 1548م، وقد استعان حاجي خليفة في ترجمته بأحد الرهبان الفرنسيين الذي اعتنق الإسلام سنة 1654م، وأصبح اسمه إخلاصي شيخ محمد أفندي، وأضاف إليه بعض المعلومات المتعلقة بالسلطان سليمان القانوني وبطرد المسلمين من الأندلس.

- **إرشاد الحيارى إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى[3]:**

كان هدف حاجي خليفة من تدوين هذا الكتاب هو تعريف المسلمين بتاريخ أوروبا، وقد شرع في تأليفه سنة 1655م مستعينا بما ترجمه في أطلس مينور وبمصادر أوروبية أخرى. خصّص القسم الأول منه للحديث عن الديانة المسيحية والأناجيل الأربعة والقواعد الخمس التي بنيت عليها النصرانية، وبيّن في القسم الثاني نظم الحكم بأوروبا، وعرّف فيه بعض المصطلحات مثل مونارخيا وارستوقراطيا وديموقراطيا، وختمه بذكر معلومات عن اللّغات الأوروبية، وعلاقات الدول الأوروبية بالسلطنة العثمانية.

- **رونق السلطنة[4]:**

عُرف هذا الكتاب باسم آخر هو: «**تاريخ قسطنطينية وقيصرية**،» وقد وصف فيه المؤلف تاريخ القسطنطينية والإمبراطورية البيزنطية وعلاقاتها بالمشرق، وتحدث عن انتشار الإسلام والحروب الصليبية ودولة السلاجقة، كما قدّم معلومات مهمة حول ما عرفته مدينة

---

(1) توجد نسخة أصلية من الكتاب بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم: 1914، ونسخة بنور عثمانية تحت رقم:3153، وطبع بمطبعة جريدة حوادث في استانبول سنة 1287هـ/1870م؛ كاتب چلبي، **فذلكهء كاتب چلبي** (إستانبول: مطبعة جريدة الحوادث، 1287هـ/1870م)، في جزأين.

(2) توجد مخطوطة هذا المصنف في مكتبة عزت قويون بقونية، ونشرت بعض الأجزاء منه في مجلة تصوير أفكار سنة 1863م.

(3) توجد نسخة منه بقونية وأخرى بمكتبة جامعة ماربورج بألمانيا، وثالثة في مكتبة (Türk Tarih Kurumu)بأنقرة.

(4) تم العثور على مخطوطة الكتاب بمكتبة قويون أوغلى بمدينة قونية التركية.

القسطنطينية من زلازل وحرائق وغيرها. وهو مقتطفات مترجمة من اللاتينية إلى التركية من كتاب «**تاريخ أحداث المشرق من بداية الخليقة وتأسيس المدينة (رومة) إلى زماننا هذا.**»[1]

- **جهاننما (وصف العالم)[2]:**

يصنف هذا الكتاب ضمن جغرافيا العالم (الكوسموغرافيا)، بدأه حاجي خليفة سنة 1648م، وتناول فيه وصف البحار والأنهار والبحيرات ثم الأقسام السبعة للأرض، لكن بعد اطلاعه على نسخة من كتاب «**الأطلس الصغير**» للكرتوغرافي الهولندي جيرار مركاتو قام بإعادة كتابة المؤلف من جديد سنة 1554م، معتمدا في ذلك على المادة العلمية للمصادر الأوروبية في مجال الجغرافية، مستفيدا من خدمات الترجمان محمد إخلاصي، وقد ركز فيه على المنظور الجديد للجغرافية الطبيعية، حيث تحدث عن الكشوفات الجغرافية ورحلات ماجلان وجغرافيا الشرق الأقصى. وبعد وفاة حاجي خليفة تولى أبو بكر بن بهرام الدمشقي، المتوفى سنة 1691م، إتمام بعض المعطيات المتعلقة بالأناضول من الكتاب، ووضع عليه بعض الشروح والحواشي المهمة.

- **لوامع النور في ظلمات أطلس مينور:**

من أهم الأعمال التي أنجزها حاجي خليفة في **الجغرافية** ترجمته لكتاب «**الأطلس الصغير**» الذي وضعه جرار ميركاتوريس (Gerard Mercator) و جودوكس هانديوس (Jodocus Hondius) إلى التركية، وقد استعان في ذلك بمحمد إخلاصي، وحملت الترجمة التركية عنوان: «**لوامع النور في ظلمة أطلس مينور،**» وكان عمدته في تأليف كتابه حول البحرية العثمانية: «**تحفة الكبار في أسفار البحار**». ويقدم هذا الكتاب نظرة جديدة حول العالم حيث يتحدث عن نظرية كوبرنيك، كما يفيد بمعلومات مهمة في الجغرافية والكوسموغرافية.[3]

---

(1) طبع هذا الكتاب في فرانكفورت سنة 1587م، تحت عنوان: *Historia Rerum in Oriente*، وهو منقول من المؤرخين البيزنطيين أمثال زوناراس وخلقونديلس.

(2) Orhan şaik Gökyay, «Cihannümâ,» in i*slâm Ansiklopedisi,* Cild7 (Ankara: TDV Yayınları, 1993), 541-542.

نظرا لأهمية كتاب «جهان نامه» لقي اهتماما كبيرا من قبل الأوروبيين إذ وجدت نسخة من هذا المؤلف في مكتبة أكاديمية رومانيا.

(3) يراجع في هذا الصدد ما كتبه الباحث التركي: Hüseyin G Yurdaydin.

-Hüseyin G Yurdaydin, «Düşünce Hayati : KâtipÇelebi 1609-1659» *in Türkiye Tarihi, Osmanli Devleti 1600-1908 ,3 Cilt*, ed Metin/ Kunt, Suraiya Faroqhi, Hüseyin G Yurdaydin Ayla /Ödekan (Istanbul: Cem Yayinevi, 2005), 282.

- **تحفة الكبار في أسفار البحار[1]:**

أرّخ فيه حاجي خليفة للحملات البحرية العثمانية إلى غاية سنة 1656م، وذكر معلومات دقيقة عن الأسطول العثماني. ففي القسم الأول منه تحدث عن المعارك البحرية وانتصارات العثمانيين في البحر المتوسط، وتحركاتهم في البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي الفارسي، واستعرض فيه أيضا تراجم كبار قادة الأسطول مثل خير الدين وعروج وكمال باشا وغيرهم. وفي القسم الثاني سلط الضوء على ديوان البحرية (الترسانة) والأسطول (الدونانمه) والبحار.[2]

- **قانون نامه (مفقود):**

خصصه حاجي خليفة لقوانين الدولة العثمانية وتدبير تنظيم الحكم، والمراسيم والتشريفات المتنوعة التي تهم علاقة السلطة والمجتمع.

- **رسالة دستور العمل لإصلاح الخلل[3]:**

تعتبر هذه الرسالة أهم ما كتبه حاجي خليفة من رسائل الإصلاح السياسي والمالي خلال القرن السابع عشر للميلاد، فقد جاءت جوابا على طلب السلطان محمد الرابع (1648-1687م) سنة 1653م، الذي عقد لجنة من كبار رجال الدولة قصد البحث في أسباب الأزمة المالية التي عانت منها الدولة. وقد تضمنت تلك الرسالة عرضا موثقا لعوامل تدهور المؤسسة المالية والإدارية والعسكرية في الدولة، كما اقترح صاحبها الحلول اللازمة لإزالة تلك العوائق.

وتتكون هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقد شخص المؤلف في المقدمة حالة الدولة العثمانية، وبيّن أنها تعيش الطور الأخير من عمرها وهو عصر التوقف والانحطاط، ووضّح في الفصل الأول أحوال الرعية، وفي الفصل الثاني أحوال العسكر، في حين شرح في

(1) طبع الكتاب في مطبعة إبراهيم متفرقة باستانبول، كما ترجمه الفرنسي دو لاكروا إلى الفرنسية، وجيمس ميشل إلى الإنجليزية، وترجمه محمد حرب إلى العربية وصدر عن دار البشير للثقافة والعلوم سنة 2017م.

(2) عبد الحفيظ الطبايلي، «في أسفار الأسطول العثماني: رحلة مع كاتب جلبي ومؤلفه تحفة الكبار في أسفار البحار،» ضمن كتاب: **السفر في العالم الإسلامي، التواصل والحداثة**، تنسيق عبد الرحمان المودن وعبد الرحيم بنحادة (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003)، 67-84.

(3) كاتب جلبي، **دستور العمل لإصلاح الخلل** (استانبول: تصوير الأفكار، 1280هـ). يراجع أيضا: عبد الحي الخيلي، «معالم الإصلاح والتحديث في رسائل النخبة العثمانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر» في كتاب: **المجتمع والدين والسياسة**، أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد المازوني، تنسيق محماد لطيف ومحمد العواد (مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، 2021)، 292-295.

الفصل الثالث أحوال الخزينة،[1] والخلل الذي عرفته هذه المؤسسة، وكذا علاقاتها بالمؤسسات الأخرى، وخاصة المؤسسة العسكرية.

o ميزان الحق في اختيار الأحق[2]:

كان هذا الكتاب آخر ما ألفه حاجي خليفة، وذلك سنة 1656م، ويصنف ضمن كتب الفقه والفتوى، كما تناول فيه بعض القضايا الخلافية بين العلماء ورجال الدولة، وقد بيّن في المقدمة أهمية العلوم العقلية مثل الهندسة والجغرافية والفلك وغيرها، وأفرد فصولا منه لمواضيع متنوعة منها الغناء والرقص والدخان والقهوة والبدع ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أن أهم ما عالجه فيه هو ظاهرة الرشوة وأضرارها على الإدارة العثمانية، ودعا إلى محاربتها من أجل إصلاح الدولة والمجتمع.

• تصورات حاجي خليفة للإصلاح

اهتم حاجي خليفة بحكم مسؤوليته كعالم ومؤرخ وخبير بالشؤون الإدارية والمالية في الدولة العثمانية بالخلل الذي شهدته مختلف مؤسسات الدولة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، ووظف الكتابة التاريخية لتشخيص الأزمات والدعوة إلى إصلاح المؤسسات الإدارية والمالية والعسكرية.

فقد توقف عند مظاهر أزمة المركز العثماني، واعتمد نظرية ابن خلدون في تشخيص واقع الدولة «التي ظهرت فيها علامات الانحراف، وعلى قوتها آثار الاختلاف...، حتى أصبحت تعيش زمان التوقف والانحطاط...، ووصلت مرحلة الهرم المؤدي إلى الموت.»[3] وأكد على ضرورة البحث عن العلاج وإصلاح مؤسسات الدولة قبل فوات الأوان.

o التاريخ مدخل أساس لإصلاح نظم الدولة

أكد حاجي خليفة أن التاريخ مدخل أساس من مداخل إصلاح الدولة، لأن دراسة التجارب التاريخية الناجحة في التاريخ العثماني أو «التاريخ العالمي،» كفيلة باستنباط حلول مناسبة لمعالجة الخلل الذي شهدته مؤسسات الدولة.[4] وطرح تصوره هذا بالتفصيل في

---

(1) كاتب جلبي، **دستور**، 120-123.

(2) Katip /Çelebi, *Mizanu'lhakk fi Ihtiyari'l-ahakk,* Hazirlayan Orhan şaik /Gökyab(Istanbul: Milli Egitim/Basimevi, 1972).

(3) كاتب چلبي، **دستور**، 120-123.

(4) عبد الحي الخيلي، **النخبة والإصلاح: نماذج من الفكر الإصلاحي العثماني بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2014)، 114-118.

مؤلفيه: «**تقويم التواريخ وفذلكة أقوال الأخيار.**» ونسج على منواله من جاء بعده من المؤرخين ومنهم إبراهيم متفرقة وذلك من خلال تصديره كتاب: «**تاريخ نعيما،**» وفي رسالته: «**أصول الحكم في نظام الأمم،**»[1] وعبرَّ عن ذلك بقوله: «إن التاريخ مدخل أساس من مداخل إصلاح السلطنة...، كما أن تكثير كتب التاريخ ضرورة من ضرورات التجديد والإحياء للدولة العثمانية.»[2]

سلك حاجي خليفة في تأريخه للدولة العثمانية منهجا علميّا دقيقًا، اعتمد فيه من جهة على الرواية التاريخية الموثوقة سندا ومتنا، ونقد المصادر الإخبارية التي لا تتوفر فيها الشروط العلمية والأمانة في نقل الأخبار، والتي تركن إلى أقوال المنجّمين، ووظّف، من جهة أخرى، الوثائق والمستندات الغنية التي حصل عليها من عمله الإداري، وجعلها المادة الأساس في تحريره لمؤلفاته التاريخية ورسائله الإصلاحية.

كما قام باستقراء تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ الأمم والحضارات الأخرى من أجل الاستفادة من تجاربها التاريخية في إصلاح الدولة والمجتمع، ومن أجل نجاح عملية الإصلاح في الدولة العثمانية قدّم حاجي خليفة تصورات مهمة شملت مختلف المجالات المعرفية والسياسية والعسكرية والمالية والإدارية.

o تجديد وتعميم المعرفة

يعدّ حاجي خليفة من رواد تجديد الفكر والمعرفة في الدولة العثمانية، حيث أكّد على مركزية العلم في إصلاح الدولة والمجتمع، ودعا إلى الاهتمام بالعلوم الحقة والعلوم الإنسانية، ثم الانفتاح على المعارف العالمية، وذلك لتجاوز الجمود والنقص الذي عرفه المجتمع العثماني فيما يخص العلوم والمعارف.

وقد ركز في مشروعه المعرفي على ضرورة إحياء مجموعة من العلوم مثل الطب بمختلف فروعه للبحث عن العلاج الروحي والنفسي، وتطهير القلوب والجوارح، وعلم الفلك الذي

---

(1) إبراهيم متفرقة، **أصول الحكم في نظام الأمم** (استانبول: دار الطباعة العامرة، 1144هـ/1731م). وتوجد نسخة مخطوطة منه أيضًا في خزانة نور عثمانية باستانبول تحت رقم: 3153. وصدرت بها دراسة محققة بالتركية الحديثة. ينظر:
Adil Şen, i*brahim Müteferrika ve Usülü'l-Hikem fi Nizam'i-Ülmmen* (Ankara: Turk Diyanet Vakfi Yayinlari, 1995).

ونظرًا لأهمية هذه الرسالة، نُشرت لها ترجمةٌ فرنسيةٌ في فيينا بعنوان:
Ibrahim Muteferrika, *Traité de Tactique*, tr. Karl Emerich Alexander Reviezkyvon Revisnye, (Vienne: Trattner, 1769).

(2) إبراهيم متفرقة، **مقدمة تاريخ نعيما**، ج.1 (استانبول: دار الطباعة العامرة، 1281هـ)، 12-13.

يساعد على فهم حقائق الكون، وعلمي الهيأة والتشريح من أجل تعميق المعرفة بالإنسان التي تقوده لمعرفة الخالق. كما دعا إلى ضرورة إعمال العقل ونبذ التعصب الأعمى ومحاربة الخرافات، وبيّن أن العلم أساس الوحدة الاجتماعية نظرا لما يوفره من إمكانية الاختلاف الذي فيه رحمة للمجتمع.

يعتبر حاجي خليفة أيضا من دعاة الانفتاح على الحضارات الأخرى من أجل تحصيل المعارف والعلوم الجديدة وتعميمها في المجتمع، وقد قام بمجهود جبار من أجل ذلك حيث اهتم بالترجمة واللّغات والرياضيات والجغرافية، وقد كان هدفه هو تغيير تصورات النخب العثمانية حول ما حملته من نظرة قديمة حول جغرافية العالم، خاصة العالم الأوروبي وأمريكا.

كان الرجل يؤمن بأن السلم والأمن شرطان أساسيان لتجديد العلوم وتعميم المعارف وتحقيق الإصلاح في أبعاده المختلفة.

o الإصلاح السياسي

بسط حاجي خليفة أهم أفكاره عن الإصلاح السياسي والمالي في رسالته الموسومة بـ «**دستور العمل لإصلاح الخلل**،» حيث قدّم تحليلا للإصلاح السياسي اعتمادًا على نظرية ابن خلدون، وفقا لمقاربة «علم الاجتماع السياسي،» وقال: «إن أساس اجتماع النوع البشري من أجل تأسيس الدولة والملك ينبني على أساس «قانون العدل،» الذي يجب أن يحكم جُل مكونات المجتمع، إذ «لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالسيف، ولا سيف إلا بالمال، ولا مال إلا بالرعية، ولا رعية إلا بالعدل.» فمعيار العقل وقانون العدل يقتضي إحقاق الحق وتنفيذه وإبطال الباطل.[1]

إن إقامة العدل واجتناب الظلم هو الرابط الذي يجب أن يجمع السلطة بالرعية في المركز والولايات، كما كان الأمر في زمن سلف السلطنة، وهو ما يجب العودة إليه -كما يقول كاتب چلبي-. فالسلطان هو المسؤول الأول عن تطبيق قانون العدل، وعليه أن يتميز بالاستقامة والحزم والعدل وحسن تدبير أمور الدولة.[2]

كما خلص إلى أن السلطنة وصلت مرحلة التوقف والانحطاط وهو الطور الأخير حسب النظرية الخلدونية، ودعا إلى ضرورة إصلاح مؤسسة السلطان من أجل ضمان نظام السلطنة وامتدادها، إذ قال: «فالسلطان هو خليفة، يجب أن يكون معروفا بالتيقظ والاستقامة

(1) كاتب چلبي، **دستور**، 123-128.
(2) المصدر نفسه، 136.

والحق والعدل، وتنظيم أمور الجيش، واجتثاث أهل الخيانة والفساد، ويتدارك الأمر بإصلاح الخزينة والتخفيف من التبذير والإسراف، ومحاربة الظلم والتعامل بالعدل في الولايات، لتجاوز الانحراف الذي تعرفه السلطنة.»[1] ونفس المعنى أكده بعض العلماء ورجال الإصلاح أيضا ومنهم حسن كافي الآقحصاري بقوله إن: «العدالة وحسن السياسية هي عمادُ الإصلاح السياسي، وذلك بتفويض الأمور إلى أهلها.»[2]

o الإصلاح الإداري

توقف حاجي خليفة عند الفساد الإداري في مؤسسة الوزارة وباقي المؤسسات الإدارية والمالية، باعتباره أحد رجال الإدارة الخبراء بخباياها، وعرض أفكاره لإصلاح الإدارة العثمانية في مؤلَّفَيه: **ميزان الحق** و**دستور العمل**، وكشف النقاب فيهما عن أخطر ظاهرة تهدد الإدارة المركزية منها والمحلية، وهي ظاهرة الرشوة التي اتخذت أشكالًا عِدَّة، ومنها الهدية التي شملت كبار رجال الدولة، مثل الوزراء ورؤساء المصالح. وقد حلّل تلك الظاهرة تحليلا علميا وبيّن خطورتها على بنية الإدارة والمجتمع، قائلًا إنها تؤدي إلى انعدام الكفاءة في تولي المناصب الإدارية عن طريق توظيف أصحاب المحسوبية، وتأخذ الحق من صاحبه وتعطيه لغيره.[3]

أما الحلول التي قدمها فقد تمثّلت في محاربة ظاهرة الرشوة لأن فيها ضررًا على المجتمع، ودعا إلى حسن تدبير الإدارة لما فيه مصلحة الدين والدولة، والعمل على اعتماد الكفاءة المهنية والأحقية في التوظيف والتعيين، وإصلاح نظام التيمار[4] ومنحه لمستحقيه.[5]

o الإصلاح العسكري

شخَّصت المؤلفات التاريخية العثمانية إشكالية الجيش وعَدَّت تدخله في السلطة، من خلال تنصيب السلاطين وعزلهم وإخفاقاته أمام الجيوش الأوروبية، أحد أسباب أزمة الدولة،

---

(1) المصدر نفسه، 136-137.

(2) حسن كافي الآقحصاري، **أصول الحكم في نظام العالم**، دراسة وتقديم إحسان صدقي العمد (الكويت: هالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1987)، 121.

(3) Çelebi, *Mizanu'l-hakk,* 99-102.

(4) التيمار: هو نوع من المكافئة الترابية التي يحصل عليها كل سباهي أظهر قدرة عسكرية لخدمة الدولة العثمانية، ويطلق على كل وحدة اقتصاديه وإدارية واجتماعية. وقد شكل أساس موارد خزينة الدولة وينقسم إلى ثلاثة أنواع: تيمار عادي يصل مدخوله 20 ألف أقجة، وزعامات ويصل بين 10و20 ألف، ثم الخاص ولا يتجاوز مدخوله 100 ألف أقجة.

(5) كاتب چلبي، **دستور**، 124-136.

وقدمت حلولًا لإصلاح هذه المؤسسة.[1] وقد أكّد حاجي خليفة باعتباره شاهد عيان على الحروب التي خاضها الجيش العثماني، بفعل مشاركته في أغلب الحملات العسكرية، شرق الأناضول على ضرورة تنظيم الجيش وترتيبه واعتماد أهل الكفاءة، وتقليص أعداد الانكشارية الذين يشكلون عبئًا على ميزانية الدولة،[2] وشدّد على ضرورة معاقبة الجناة والمتمردين المسؤولين عن ضعف الدولة؛[3] وشدد في المقابل على حُسن تدبير النفقات وترشيدها، وضبط نظام التيمار، وتجنُّب ظلم الفلاحين من قبل فرسان السباهية، ثم دعا إلى تبني التجربة الإصلاحية للسلطان أحمد الأول (1603-1617م)، الذي اعتمد على العقلاء والفضلاء والخبراء في الإصلاح.

o الإصلاح المالي

اقترن الإصلاح المالي في تصورات حاجي خليفة بالإصلاح العسكري وذلك من منطلق الخبرة والتخصص في شؤون إدارة المالية والجيش، فتحت وطأة الأزمة المالية التي شهدتها الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر للميلاد، قام السلطان محمد الرابع باستشارة خبراء المالية من أجل إيجاد حلول لتلك الأزمة وتحقيق الإصلاح. وكان كاتب چلبي من بين أولئك المستشارين بوصفه متخصصًا في الشؤون المالية. لذا، قدم إجابة علمية دقيقة من خلال رسالته: «**دستور العمل**» التي ركّز فيها على ثلاثة أُسس لإصلاح مالية الدولة، هي: ضرورة التراجع عن السياسة الضريبية الجائرة بحق الفلاحين من الرعايا، وحسن تدبير الخزينة من خلال إقامة توازن بين النفقات والإيرادات، بعد أن قدَّم إحصائيات دقيقة عن اختلال التوازن بين سنتي 1564م و1650م، إذ تحولت النفقات من 189.6 مليون أقجة إلى 687.2 مليون أقجة،[4] وزيادة واردات الخزينة وتقليص نفقاتها إلى حد الاعتدال.

ودعا السلطان إلى تدارك الأمر، والتدخل لإصلاح الخزينة بتقليص أعداد الجيش الذي يشكل عبئًا على الميزانية، واعتماد إطار تقني متخصص في الشؤون المالية، ثم التعامل بالعدل وحسن التدبير والتنظيم لما فيه مصلحة الدين والدولة.[5]

---

(1) عبد الحي الخيلي، «المؤرخون العثمانيون وإصلاح الدولة دراسة من خلال المصادر التاريخية،» **مجلة أسطور التاريخية**، ع. 13، الدوحة (2021): 40.

(2) كاتب چلبي، **دستور**، 129-132.

(3) كاتب چلبي، **فذلكة**، ج. 1، 12-13.

(4) كاتب چلبي، **دستور**، 123-134. عبد الرحيم بنحادة، **بحوث ودراسات في التاريخ العثماني** (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2017)، 61.

(5) كاتب چلبي، **دستور**، 133.

وقد أعطى وصفا دقيقا لأهمية الخزينة بالنسبة للدولة بقوله: «إن النفس الناطقة للسلطنة هي السلطان، والقوة العاقلة هي الوزير، والقوة المدركة هي مقام المفتي، والقوة الهاضمة هي المعدة وهي خزينة الدولة.»[1]

- **الإصلاح الاجتماعي**

استأثرت حالة الرعايا باهتمام حاجي خليفة أيضا حيث حدّد أهمية التركيبة الاجتماعية في الدولة وفق منظور علم الاجتماع السياسي، وبيّن أن الهيئة الاجتماعية في الدولة العثمانية تشكلت من أربعة أركان وهم: العلماء والعسكر والتجار والرعايا،»[2] وشبه تلك الأصناف كالصحة في الجسد إذا كانت بعافية يكون البدن كذلك. وإذا أصابها المرض اختل مزاج البدن، وكذلك الشأن بالنسبة للدولة إذا أصاب هذه التركيبة الاجتماعية خلل فإنه ينعكس على نظام الدولة. وخلص إلى أن الرعايا هم قوة الدولة وقاعدتها الأساسية وأنه يجب معاملتهم بالعدل بما يقتضيه الدين والدولة والعقل والقانون، وذلك من أجل تحسين موارد الخزينة وضمان موارد قارة.

خلاصة عامة

ترك حاجي خليفة بصمة خالدة في تاريخ الثقافة الإسلامية من خلال مؤلفاته ومصنفاته المتميزة وفي مقدمتها كتابه **كشف الظنون**، باعتباره عالما ومؤلفا مدققا، ومؤرخا منفتحا على عوالم أخرى، واستحق بذلك أن يكون عالما موسوعيّا بامتياز.

وقد لقي حاجي خليفة بعد رحيله اهتماما كبيرا من قبل النخب العثمانية، وتأثر بمنهجه في التأريخ فطاحل المؤرخين الأتراك أمثال مصطفى نعيمة وقوجي بك وراشد أفندي وعاصم أفندي وأحمد جودت باشا ولطفي أفندي، وسليمان فايق أفندي وأحمد صوريا وغيرهم.

وقد أسهم هذا الرجل في إذكاء الوعي التاريخي وخلق تراكم في الكتابة التاريخية بالدولة العثمانية من أجل تجديد المعارف والعلوم وتعميمها، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإصلاح الدولة والمجتمع حسب رأيه. وقد حمل لواء هذا المشروع الفكري المتكامل من بعده أحد رجال النخبة العثمانية وهو إبراهيم متفرقة الذي جعل من أولوياته إحياء تصورات حاجي خليفة ونشر مؤلفاته ومصنفاته العلمية، حيث اختار بعناية أهم تلك المصنفات وطبعها في مطبعته في مطلع القرن الثامن عشر للميلاد، ومنها كتب: **تقويم التواريخ** و**جهاننما**

(1) المصدر نفسه، 123-134.
(2) المصدر نفسه، 123-128.

و**تحفة الكبار في أسفار البحار**. وهي مصنفات تهم علم التاريخ والجغرافية والفلك وعلوم البحار - كما أسلفنا- وكان الهدف من ذلك هو إبلاغ رسالة حاجي خليفة من أجل تجديد العلوم، وتعميم المعرفة، وتصحيح تصورات النخبة العثمانية، والاستفادة من الغرب بغية تجاوز التفاوت الحاصل بين العالم الأوروبي والعثماني في الأفكار والمعارف والتقنيات. وقد تعززت تلك المفاهيم الجديدة التي نظّر لها حاجي خليفة أكثر خلال القرن الثامن عشر مع إرسال سفراء عثمانيين إلى أوروبا قصد معرفة ما كان يجري في الغرب، ونقل التجارب الأوروبية في التحديث، وهو ما تحقّق بالتدريج مع السلطان المصلح سليم الثالث (1789-1807م) باعتماده مشروع النظام الجديد والإيراد الجديد، وتعزّز أكثر خلال فترة التنظيمات الخيرية التي شكلت بداية انخراط العثمانيين في عالم الحداثة.

ولم يقتصر الاهتمام بأعمال حاجي خليفة على النخبة العثمانية فقط، بل شمل كبار المؤرخين الأوروبيين أيضا، فكانت مصنفاته مصدر إلهام لهم في الاهتمام بتاريخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، حيث اعتمد المؤرخ الألماني هامر بورغستال على كتاباته في إنجاز: «**موسوعة العلوم الشرقية**،» كما استند المستشرق الفرنسي دربلو (d'Herbelot) صاحب **المكتبة الشرقية** على كتاب **كشف الظنون** في إعداد معظم تراجمه وكتبه، واعترف المستشرق الفرنسي غالان (Galland) أن ذلك الكتاب يفوق من الناحية التقنية كل ما جاء قبله حتى من كتب بيبليوغرافية أوروبية. وأكّد المستعرب الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي (Ignati Ioulianovitch Kratchkovski) بأن مؤلفات حاجي خليفة كانت أوسع أفقا من جلال الدين السيوطي رغم أنه لم يبلغ عدد ما ألفه السيوطي. لذلك صدق فرانتس بابنغر (Franz Babinger) في وصفه **بأكبر مؤرخ أدبي** بين العثمانيين.

استمر الاهتمام بأعمال حاجي خليفة حتى الوقت الحاضر، إذ سار على نهجه كبار الباحثين الأتراك المهتمين بتحقيق التراث ومن بينهم فؤاد سزكين الذي بدل جهودا جبارة من أجل التعريف بالمصنفات والمصادر العثمانية منها والعربية في كتابه: «**تاريخ التراث العربي**،» منتقدا في ذلك المستشرق الألماني كارل بروكلمان (Carl Broeckelmann) ومستدركا الأخطاء التي وقع فيها، وتابع السير على نهجه أيضا رمضان ششن الذي ألّف كتاب: «**نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**،» مسترشدا بأعمال حاجي خليفة ومستدركا ما فات كل من كارل بروكلمان وفؤاد سزكين.

ومن أجل الاحتفاء بهذا العالم الموسوعي وبمكانته العلمية نظمت عدة مؤتمرات في تركيا تعرف به وبإنتاجه الغزير، ومنها مؤتمر عقد سنة 1957م احتفالا بمرور ثلاثة مائة عام على وفاته، ونشرت الجمعية التركية التاريخية كتابا يضم مجموعة من الأبحاث والمقالات عن

حياته وأهم مؤلفاته. كما خصصت بلدية أسكودار سنة 2007م عددا خاصا من إصدارتها للتعريف بأعمال الرجل وأهم ما قدمه للعلم والمعرفة بمناسبة ذكرى مرور 350 سنة على وفاته، وبعد ذلك بثلاث سنوات تأسست بمدينة إزمير التركية جامعة حملت اسم هذا العالم (İzmir Katip çelebi Üniversitesi)، وذلك عرفانا لما قدّمه من خدمات جليلة للعلم والمعرفة في تركيا والعالم الإسلامي.